المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الممارسات الاجتماعية الانحرافية عند الشباب الجزائري البطال
مقاربة سوسيولوجية لبعض الممارسات الانحرافية

محمد بلحاجي /طالب دكتوراه/ جامعة وهران 2
مخبر المؤسسة الصناعية والمجتمع في الجزائر - جامعة تلمسان -
تحت إشراف أ.د مراد مولاي حاج/ جامعة محمد بن أحمد، وهران 2

تاريخ الارسال: 19 مارس 2018	تاريخ القبول: 24 ابريل 2018	تاريخ النشر:01/ اوت /2018

ملخص :

في ظل التحولات الجديدة التي يعيشها المجتمع الجزائري على كل المستويات، أصبح الحديث عن الشباب يحتل موقعا متقدما في مختلف الخطابات، باعتباره فاعلا مركزيا في صناعة التاريخ والتغير الاجتماعي. سنحاول رصد مختلف تمثلات وممارسات الشباب الجزائري إلى الواقع الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، والاعلامي السائد في المجتمع الجزائري، ومما لا شك فيه أن الشباب هو الثروة الحقيقية لكل أمة والضامن لأمنها واستقرارها ما يستوجب وضع ملف الشباب وانشغالاتهم على رأس سلم الأولويات والاهتمامات للدولة في كل برامجها التنموية.

الكلمات المفتاحية : بطالة ، شباب ، عنف، هجرة، مخدرات.

Abstract

In light of the new transformations experienced by the Algerian society at all levels, the talk of youth occupies an advanced position in various discourses as a central element in the construction of history and social change. We will try to monitor the various representations and perceptions of Algerian youth to the actual economic, social, political and media prevailing in the Algerian society. Undoubtedly, youth is the true wealth of every nation and guarantor of its security and stability as it requires the development of the youth file and their concerns at the top of the priorities and concerns of the State in all its development programs.

Keywords: Unemployment, Youth, Violence, migration, Drugs

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تمهيد

إن الحديث عن المسألة الشبابية في العالم المعاصر يفرض ذاته بشكل كبير على كل المستويات والأبعاد، فلم تعد هذه المسألة مجرد مرحلة عمرية، ولم يعد " الشباب مجرد كلمة "[1] كما ذهب إلى ذلك بيار بورديو. إن الاهتمام بقضايا الشباب ومشكلاته الاجتماعية المعاصرة والاجتهاد في التكفل بها يعد من أهم القضايا، التي تعتبر واحدة من المؤشرات الدالة على مدى تقدم أو تخلف أي مجتمع. ومن هذا المنطلق قامت جهود الدولة الجزائرية بالنهوض بفئة الشباب على جميع الأصعدة، من خلال حركة تنموية غير مسبوقة من ناحية الإمكانيات المرصودة، منها المالية والبشرية والتقنية، لتوفير الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية للشباب، باعتباره فئة عمرية تحتل مكانة بارزة في نسيج المجتمع الجزائري. لقد حُققت بعض النتائج في هذا المجال، غير أن تلك النتائج لم تكن في بعض الأحيان على مستوى آمال و تطلعات الشباب الجزائري الذي ما زال يشعر بأنه لم ينل ما يتناسب مع مكانته ودوره. دليل ذلك ما يعكسه واقع الشباب اليوم من معاناة : بطالة، فقر، مخدرات، جريمة، عنف، تهميش، إقصاء، قوارب الموت، إحراق الذات، طوابير التأشيرة، هجرة نحو الشمال، هجرة نحو العالم الافتراضي، تطرف ديني ... الخ

البطالة ظاهرة عالمية، غير أنها في الجزائر أكثر خطورة على النسيج الاجتماعي وتماسكه، خاصة في ظل الظروف الراهنة، أين اعتبرت البطالة في الكثير من دول الجوار كمحركات لأفعال احتجاجية قوية كان الفاعل الأساسي فيها شباب بطالون يعيشون مختلف أشكال التهميش والإقصاء الاجتماعي. في ظل كل هذا، سنعمد إلى تسليط الضوء على تنامي مختلف السلوكات الانحرافية في الأوساط الشبابية العاطلة عن العمل، محاولين تفسير الاجتماعي بما هو اجتماعي على حد تعبير اميل دوركايم لتبرير العلاقة الارتباطية بين ظاهرة البطالة ومختلف الظواهر الاجتماعية الاخرى كالعنف، تعاطي المخدرات، الهجرة، الجريمة الالكترونية... الخ

1 – بطالة الشباب كظاهرة اجتماعية :

تشكل البطالة في الوقت الراهن تحديا صعبا للدولة الجزائرية، وتظل واحدة من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الجديرة بالبحث والاهتمام من طرف مختلف الدارسين في ظل ظروف تفاقمها على كل المستويات وانتشارها بنسب مختلفة في كل جهات الوطن. اختلفت الرؤى وتباينت حول مفهوم البطالة، كونها واحدة من المصطلحات الاجتماعية الاقتصادية المعقدة التي لا تزال تلقى – عند محاولة التعريف بها – الكثير من الخلاف، إن عدم الاتفاق راجع أساسا إلى اختلاف وجهات النظر بين مفكري هذا المجال في أمور كثيرة تتعلق أصلا بتوجههم نحو مفاهيم أخرى مثل التشغيل والعمل...

[1] عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الشباب المغربي جدل الادماج والتهميش، طوب بريس، المغرب، ط1، 2004 ، ص 11

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قدم المكتب الدولي للعمل التابع لمنظمة العمل الدولية تعريفا للبطالة مفاده: " البطال هو كل شخص قادر على العمل، وراغب فيه، ويبحث عنه، ويقبله عند مستوى الأجر السائد، ولكنه لا يجده."[2] وما يلاحظ على هذا التعريف المعمول به في جل بلدان العالم بما فيها الجزائر أنع خاضع بالدرجة الأولى إلى الاعتبارات الادارية أكثر منها الاعتبارات الاجتماعية والثقافية والتي تنص على أن كل مجتمع يصنع بطالين هم نتاج ظروف تاريخية، وخصوصيات ثقافية تختلف من مجتمع لآخر.

مع مطلع تسعينيات القرن الماضي واجهت الجزائر الوجه الحقيقي للبطالة المقنعة خاصة مع املاءات صندوق النقد الدولي وبرنامج التصحيح الهيكلي والتحرير الاقتصادي، ما أدى إلى غلق العديد من المؤسسات العمومية وتسريح أكثر من أربعمائة ألف عامل. ورغم آليات التشغيل المنتهجة من طرف الدولة لمعالجة مشكلة البطالة إلا أن هذه الظاهرة بقيت في تفاقم مستمر. آخر تقديرات الديوان الوطني للإحصائيات (2017) " كشفت أن نسبة البطالة عند الشباب ما بين 16 و24 سنة، هي في حدود 26.7 % في سبتمبر2016، وقدرت نسبة البطالة لدى حاملي الشهادات الجامعية بـ17,7 % في نفس التاريخ. بينما نسبة البطالة بصورة عامة هي في 12,3 % في أبريل 2017."[3]

أرقام أثارت وتثير جدلا واسعا لدى مختلف الفاعلين الاجتماعيين من مسؤولين، خبراء، باحثين، ناقدين ومعارضين ....الخ، كما أثارت سخط وتذمر فئة البطالين أنفسهم وخاصة الفئات الشبابية، بحيث يرون أن هذه الأرقام لا تعكس الواقع الاجتماعي المعاش ويتساؤلون عن طرق حسابها من طرف الجهات المعنية. إن التزايد في نسب البطالة يرجع حسب خبراء اقتصاديين واجتماعيين إلى فشل مجمل الاصلاحات الاقتصادية وطول مدة المرحلة الانتقالية من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر، حتى أضحت الجزائر تخطو خطوة نحو الاقتصاد الحر وتتراجع خطوات نحو الاقتصاد الموجه لتدخل الدولة المستمر في مختلف العمليات الاقتصادية، وكذا عدم مسايرة البنوك للسياسات العمومية في ظل البيروقراطية والزبونية والعشائرية، وتحكمها في تحديد جدوى المشاريع من عدمها، رغم الافتقار للكفاءة في معظم الأحيان. فضلا عن عدم استغلال الأراضي الزراعية، ومنح أولوية للصناعة على الزراعة، وعدم مطابقة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة للمعايير الدولية في التشغيل والتوظيف. فيما يرجع خبراء اجتماعيون ونفسانيون ذلك إلى طبيعة الفرد الجزائري خاصة بعض الميزات السلوكية والاجتماعية الجديدة لدى فئة الشباب الذي أصبح يبحث عن مناصب دون أخرى ويترفع في الكثير من الأحيان على العمل في نشاطات يصنفها هو في خانة الأعمال الشاقة على غرار قطاعي البناء والأشغال العمومية والفلاحة، وأصبح يتطلع إلى العمل في المؤسسات البترولية نظرا لما تمثله هذه الشركات في التصورات الاجتماعية أنها رمز للثروة وتحقيق الذات. وضعف التكوين والفجوة الكبيرة بين عالم

[2] عبد الرزاق محمد صالح و رشيد عباس الجزراوي، ظاهرة العولمة وتأثيرها على البطالة في الوطن العربي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1 ، 2015 ، ص 115

[3] ONS.(2017). L'Algérie en quelques chiffres, résultats de (2015,2017)

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الجامعة وعالم الشغل، وكذا تخوف الجزائريين من خوض غمار المقاولاتية والمشاريع والاعتماد على الذات حتى أضحى التساؤل هل الشاب الجزائري كسول؟

كل هذه الأسباب وغيرها تدعو إلى التساؤل عن مدى نجاح التجربة الجزائرية في ميدان التشغيل وتوفير مناصب عمل دائمة وقارة للتقليص الحقيقي الملموس على أرض الواقع لنسب البطالة، وفعالية آليات التشغيل في النهوض بالمشاريع التنموية، وخاصة أمام تراجع العائدات البترولية وعجز عجلة الاقتصاد الجزائري عن الدوران خارج الريع. وحتى إذا ما استمر الجدال حول الأرقام والتعتيم على المعدلات الحقيقية للبطالة بالجزائر بين الخبراء والمسؤولين فإن الأمر لا يجب أن يخفي حقيقة جلية وهي توافد الآلاف من حاملي الشهادات العليا من الشباب الجزائري الطموح على سوق العمل كل سنة، وأمام تباطؤ النمو لن يكون بالإمكان استيعاب الجميع حتى مع تسارع نسق ايجاد فرص العمل ما يمثل مشكلة اجتماعية ومعضلة للسلطات في ظل تنامي الحركات الاحتجاجية في مختلف الجهات والأقاليم المحلية. إن المتتبع لسياسة تشغيل الشباب في الجزائر، يقر على الأقل من الناحية النظرية بوجود عدة أجهزة للإدماج المهني منذ الاستقلال إلى يومنا هذا والتي بدورها لا تنفصل عن المشاريع الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالسياسة التنموية الشاملة، إلا أننا نعتقد أن عدم اشراك الشباب البطال الباحث عن الشغل كفاعل أساسي في تفعيل أية تجربة موجهة له في ميدان التشغيل جعلهم يتعرضون للتهميش والاقصاء الاجتماعي في ظل محدودية مناصب العمل المعروضة، بل أكثر من هذا فإن مناصب العمل المطروحة كعروض هي في الغالب مؤقتة ولا تلبي الطموحات الشبابية.

ولمجابهة هذا الوضع أصبحنا اليوم أمام الوجه الآخر للشاب البطال ألا وهو العامل غير الرسمي، كمرحلة مفروضة على جل الشباب العاطلين عن العمل إلى غاية الحصول على المنصب الرسمي الذي يوفر لهم فرصة العيش الكريم.

وخلاصة هذا يكشف الواقع الاجتماعي عن زيادة حجم البطالة وخاصة بطالة الشباب في المجتمع الجزائري، ولذا وجب علينا ان لا ننظر للبطالة أنها طاقات معطلة في الاقتصاد كما ينظر إليها البعض، فإذا " كان ظاهرها يبدو اقتصاديا سياسيا بحتا فإن عمقها اجتماعي ثقافي مما يجعلها تصنف في خانة المشكلة الاجتماعية "[4] التي تمس الفئات الشبابية وتؤثر بشدة على سلوكياتهم وتصرفاتهم ومختلف ممارساتهم الاجتماعية.

2 – الشباب البطال وتنامي ظاهرة العنف :

في إطار جملة التحولات الراهنة التي يعيشها المجتمع في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والإعلامية، أصبحت ظاهرة العنف وتنامها في الأوساط الشبابية من الظواهر الملفتة للانتباه والمستقطبة للرأي العام المحلي والدولي، إن جرائم وأفعال العنف تكاد تكون يومية، يمارسها شباب (

[4] ابراهيم أبو الحسن، العمل مع الشباب، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2015 ، ص 93

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ذكور إناث) من مستويات اجتماعية وثقافية وتعليمية مختلفة في فضاءات اجتماعية متباينة (المؤسسة، الشارع، الأسرة، السوق، المواصلات، الملاعب الرياضية ... الخ)

يصعب علينا أن نفهم مصير التحولات الراهنة التي يشهدها المجتمع الجزائري بالاقتصار على تحديد الأسباب القريبة والمباشرة للعنف وتجاهل الأسباب البعيدة (التاريخانية)، ومقاربة ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري ليست مجالا غير قابل للإعادة والتغير وفق منطق معرفي تبريري لهيبة سلطة ما، بل العنف أصبح كأداة لإعادة تشكيل الحقل الاجتماعي الجزائري. تزايدت سلوكيات العنف والممارسات العنيفة لدى الفئة الشبابية وخاصة عند الشباب البطالين بشكل كبير ومخيف وقد حذر سليمان مظهر من تحول هذا العنف الاجتماعي إلى عنف مسلح[5]. إن شباب اليوم يكاد يكون مقتنعا بأن العنف هو السبيل الوحيد كممارسة اجتماعية لتغيير واقعه الاجتماعي والاقتصادي وهو اللغة الوحيدة التي يفهمها ويخافها ويستجيب لها مختلف المسؤولين لتحقيق مطالبهم وأهدافهم.

تعددت الأسباب الدافعة للعنف لدى الشباب الجزائري البطال بين أسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية وحتى دينية فالشاب الجزائري عاش ويعيش في أسرة معنفة و العنف عنده نتاج تنشئة اجتماعية أسرية نظرا للشجارات والمشاحنات والملاسنات بين مختلف الزيجات الزواجية أمام أبناءهم، ممارسة أساليب تربوية غير صحيحة مع الأبناء ككثرة الضرب، والتوبيخ المستمر والنقد والتحقير، مما انعكس على ظهور العنف التلقائي عند الأبناء وتقبلهم له، ومع كبرهم تصبح ممارساتهم أعنف مع الفضاءات الاجتماعية الحاضنة لهم كالمدرسة، الجامعة. الشارع...الخ، كما أشارت العديد من الدراسات السوسيو اقتصادية أن بطالة الشباب سبب رئيسي في تنامي ظاهرة العنف عندهم، نظرا لأنهم يحتاجون إلى عوائد مادية تغطي مختلف احتياجاتهم اليومية، ونظير بطالتهم وتعطلهم عن العمل سيلجؤون إلى ممارسات العنف كالسرقة والتعدي على الآخرين من أجل الحصول على المال، والأخطر في هذا أن المجتمع الجزائري أصبح يسجل حالات قتل عمدية في حق الأولياء الذين عجزوا عن توفير المال لبعض من أبنائهم البطالين.

إن ثقافة العنف عند الشباب أيضا هي وليدة الانفتاح الاعلامي الذي أصبح يغذي العقول بأفكار نمطية غير صحيحة عن الرجولة والبطولة، ويصور المشهد الاعلامي الغربي العنف بشكل صريح من خلال أفلام الأكشن، وأفلام الرعب، ليتمثل الشباب أن البطولة في الضرب والقتل والسلب والنهب، وعلى هذا الأساس فإن وسائل الاعلام تكرس لتنامي وزيادة العنف خاصة في المجتمعات المستهلكة للأفكار مثل المجتمع الجزائري. وخلاصة لبعض مسببات العنف نذكر الفراغ الروحي الوجداني المتمثل في ضعف الوازع الديني عند الشباب والذي يعتبر آلية من آليات الضبط والرقابة الاجتماعية، وفي حال تذبذبه وانعدامه يفقد الشباب السيطرة على ذواته ويمارس العنف ويصبح جزء لا يتجزأ من يومياته.

[5] سليمان مظهر، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية مصدر المجابهة، ثالة للنشر، الجزائر،2010 ، ص 129

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أصبح العنف اليوم، ممارسا في مختلف الفضاءات العامة ولم تسلم منه لا الأسرة، ولا الحي ولا الشارع، بل وحتى مختلف المؤسسات، إضافة إلى العنف في الملاعب الرياضية بحيث من المفروض أن تكون فضاءات للترويح، ولكن الشباب الجزائري البطال أصبح يجد فيها الفضاء الذي يعمد فيه إلى تفريغ سخطه وغضبه على الدولة، للتعبير عن مختلف الاكراهات الاجتماعية والضغوطات التي يعيش فيها من بطالة، فقر، أزمة سكن، وكذا تدهور القدرة الشرائية... الخ من المشاكل الاجتماعية، ليمارس العنف في التشجيع بعبارات جارحة وكلام ساقط، وأيضا شجارات وصدامات دامية بين مختلف الفئات الشبابية من المشجعين لتغيب قيم الفرحة والفرجة وتحل محلها قيم سلبية. إن بطالة الشباب قادته إلى العديد من الحركات الاحتجاجية لم يسلم منها حتى الجنوب المسالم بطبعه، واستعمل فيها العنف كوسيلة تعبيرية ورمزية عن أوضاعه المزرية، عنف فريد من نوعه يدعو إلى الغرابة إنه العنف على الذات بإخاطة الأفواه في سابقة احتجاجية عالمية نظير تجاهل السلطات لمطالب هؤلاء الشباب في توفير مناصب عمل.[6]

وأمام تفاقم وتنامي ظاهرة العنف في الأوساط الشبابية دق ناقوس الخطر لاحتواء الوضع الكارثي، ومهما يكن فإن تعديل سلوكات الشباب القائمة على العنف لايزال قائما حال الاهتمام بهم أكثر، وإعطائهم فرصة المشاركة الحقيقية في مختلف البرامج التنموية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، والعمل على إلى اعادة الاعتبار لمنظومة القيم التقليدية مع مراعاة بعض القيم الحداثية التي تتماشى وخصوصية المجتمع الجزائري.

3 – الشباب البطال وظاهرة الادمان على المخدرات:

أثبتت العديد من الدراسات السوسيولوجية عن وجود اتجاهات ايجابية لدى الشباب البطال نحو تعاطي المخدرات والإدمان كأسلوب توافقي مع حالة الضغط النفسي والاجتماعي الرهيب الذي يعيشونه جراء البطالة، والتي تعتبر بمثابة صدمة تمس هوية الشخص، فالعمل يشكل تكريسا لوضعية النضج بالنسبة للشاب ووسيلة لاكتساب مكانة طبيعية للوجود، وإن غيابه يؤثر على نمو مشاعر انتماء الشباب للنسيج الاجتماعي. حيث أن عدم الاندماج المهني يؤدي إلى عدم الاندماج الاجتماعي والنفسي، ومنه إلى الاقصاء الاجتماعي، وهذا بدوره يؤدي إلى حالة اليأس والاحباط الشديدين.[7] مما يؤثر في نوعية أحكامهم التقويمية للحلول المتبناة نحو ما يجابههم من مصاعب ، وتحديات بسبب البطالة، مما يزيد قابليتهم للوقوع في سلوكات وممارسات اجتماعية انحرافية، كظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان.

[6] سعود حجال، الحركات الاحتجاجية في جزائر اليوم الفعل الاحتجاجي لدى الشباب البطال – تحليل لأحداث الجنوب – ورقلة 2013 ، الجزائر، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة تيزي وزو، عدد 1 ، ص ص 29 - 47

[7] يحي مرسي عيد بدر، الشباب في مجتمع متغير، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1 ، 2007 ، ص 71

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يعيش الشباب البطال ظروفا اجتماعية قاهرة في وقت أصبح المعيار المادي يعتلي سلم القيم الاجتماعية، فحياة الفراغ التي يقضيها مع رفاقه من الفئات غير العاملة واليائسة، يؤدي به إلى تكوين نسق قيمي وتصورات خاصة بالمواد المخدرة، توجهه وتبرر لهم سلوكهم اتجاه التعاطي في إطار مواجهة المتاعب (الابتعاد عن الألم النفسي والاجتماعي)، وتحقيق المتعة وتحصيل الفائدة (الاقتراب من اللذة)، إن تعاطي المخدرات حسب الكثير من النفسانيين الاجتماعيين مؤسس على جملة من المعتقدات أو المعارف الخاطئة في تصورات الشباب، وهي نقطة البداية في إحداث ميل وجداني إلى التعاطي في ظل توافر عدد من الظروف المهيأة لإصدار هذا السلوك، ومن ثم ينتقل من تناولها إلى التعود عليها، ثم الإدمان عليها على أمل أن تنسيه في هموم يومياته ومتاعب حياته.

المخدرات بكل أنواعها آفة خطيرة، انتشرت في الآونة الأخيرة بشكل كبير، خاصة وأن الجزائر تعرف كميات محجوزة ضخمة تقدر بالأطنان سنويا في إطار شبكات التهريب ما بين الدول، بحيث أصبحت المخدرات تجارة عالمية تجاوزت كل الحدود الجغرافية والزمانية. وتبقى بطالة الشباب واحدة من الأسباب القوية في لجوء هؤلاء الشباب إلى تعاطي المخدرات استهلاكا للهروب من الواقع المعيشي القاسي من جهة، واتجارا كعمل غير رسمي نظير العوائد المالية الضخمة التي يجنيها الشباب منها إلى حد أنها أصبحت مصدر ثراء فاحش لبعض منهم.

إن هذه المعطيات دفعت بالعديد من الباحثين في مختلف المجالات للاهتمام بالموضوع، محاولين تبني استراتيجيات مختلفة للتعامل مع هذه المشكلة التي أصبحت تتحول يوم بعد يوم من مجرد الظاهرة الاجتماعية إلى المأساة الاجتماعية.

4 – الشباب البطال والهجرة السرية (الحرقة) :

استفحلت مؤخرا ظاهرة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري وباتت مطلب الكثير من الشباب البطال منه والعامل. وأصبحت ظاهرة عيانية واكتسحت الساحة الاجتماعية لشباب الشمال البطال القريب من المناطق الساحلية الذي أصبح يمتطي قوارب الموت بتصورات الحالم والمتطلع إلى مستقبل أفضل في بلدان الضفة الأخرى الأوروبية، ولهذا سنحاول التعرض إلى هذه الممارسة الانحرافية للتعرف على أهم الدوافع والأسباب التي تقف وراء تفاقم الظاهرة وتبيان طبيعة الأساليب المستخدمة فيها من طرف هؤلاء الشبان.

عادت ظاهرة الحرقة بحرا إلى كل من اسبانيا وايطاليا بقوة في الآونة الأخيرة، لتطرح أكثر من سؤال وتساؤل بخصوص أوضاع الشباب، وفقدانهم الأمل في الحصول على مناصب عمل قارة تضمن لهم العيش في أوطانهم، وتتواتر في الآونة الأخيرة أخبار عديدة عن احباط العشرات من محاولات الهجرة السرية من طرف حراس السواحل إما في عرض البحر، أو اجهاض هذه المحاولات قبل بدايتها في شواطىء أصبحت معروفة ومكشوفة، (شواطىء مستغانم، عنابة، تيموشنت، وهران، تلمسان) ليغتنم الشباب فرصة المناسبات والأعياد الوطنية والدينية أو الأحداث الكروية، وتحين الظروف المناخية

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الملائمة، أو ما شابه ذلك لينطلق في رحلة الأمل، ولكن عادة ما تتحول رحلة الأمل هذه إلى رحلة عذاب تنتهي بمأساة معلنة نهاية فصول رحلة قبل أن تبدأ. إنها رحلة المصير المجهول. أشارت عديد الدراسات المنجزة في هذا الحقل عن جملة أسباب رئيسية لتنامي ظاهرة الحرقة نذكر منها: البطالة وما تسببه من تهميش واقصاء اجتماعي[8]، ناهيك عن التغيرات السوسيوأمنية التي مر بها المجتمع الجزائري وتداعياتها أثرت بشكل كبير في توجهات الشباب بصورة عامة نحو مشروع الهجرة غير الشرعية. وأيضا سيطرة المذهب البراغماتي المادي على عقول الفئات الشبابية وأصبح كل همهم هو محاولة تحقيق النجاح الاجتماعي الذي يتمثلونه في النجاح المادي بالدرجة الأولى، وأوربا هي الضامن لتوفير المادة حسبهم وسنة عمل فيها تعادل عشرات السنوات من العمل بالجزائر.

إن تصاعد معدلات الهجرة غير الشرعية إلى البلدان الأوربية أصبح قضية اجتماعية وسياسية هامة مما استدعى إعادة النظر في القوانين التي تتحكم في انتقال الأفراد وكذا في معنى الهوية والمواطنة، وعموما فإن تورط الشباب الجزائري في الهجرة السرية لا يمكن تفسيره إلا بواسطة تضافر مختلف عوامل الدفع المتعلقة بالبلد الأصلي (الجزائر)، وعوامل الجذب المتعلقة بالبلدان المستقبلة. وبين هذه العوامل تبقى عند شبابنا البطال المهمش صورة نمطية عن الهجرة نحو أوربا ولا يتطلع إلا للمغامرات الناجحة لمن سبقهم إلى هناك لعله يجد بيئته الجديدة والتي من خلالها يطمح إلى رد الاعتبار، ومن ثم المرور إلى مكانة اجتماعية ومادية أفضل وبالمقابل يتناسى كل المخاطر المحيطة بالعملية والتي أدت إلى هلاك عدد كبير من الشباب في عرض البحر، ولم يعثر على جثثهم لحد الساعة.

الشباب في الجزائر وباختصار شديد، يريد أن يعيش حياة الشباب، كما يراها في الواقع والخيال، كما سمع الناس تتحدث عنها وكما يشاهدها يوميا في السينما والتلفزيون[9]، فهل يرفض الجزائريون البقاء في بلدهم، لأنها سيئة فعلا بالنسبة للجميع وبهذه الدرجة التي توحي بها قوارب الموت؟ أم أننا أمام حالة أنوميا، قد تكون ظرفية، رغم انتشارها الواسع؟...

5 – الشباب البطال والجريمة الالكترونية:

يعيش الشباب البطال يوميات عصيبة تتخللها إلى جانب الأزمة المادية، أزمة فراغ قاتلة وخانقة، وتجعله أمام معطى تدبير وتسيير الوقت. تعتبر منظومة الأنترنيت بمثابة الوجه الحضاري للإنسان في جوهره ومظهره التكنو- اجتماعي، وهي واحدة من وسائل الاتصالات الحديثة التي تعرف اقبالا شبابيا كثيفا، بحيث أصبحت جزءا لا يتجزء من ذواتهم، ومن ممارساتهم اليومية، وأنه اليوم على الشباب أن يعيد تعريف ما يناسب حضارته الجديدة التي شرع في بناءها جنبا إلى جنب مع شريكه الحاسوب، لقد أصبح بإمكانه التمظهر رقميا كإنسان/ آلة. أشارت العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية إلى الفراغ الشديد عند الشباب، أنه سبب من الأسباب الدافعة به إلى عالم النات

[8] محمد رمضان، الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، دار الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر، دون سنة نشر، ص 38

[9] ناصر جابي، الجزائر: سنوات بوتفليقة، مقالات في السياسة والاجتماع، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 ، ص 91

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كمخفف روحي وترويحي عن النفس، في الوقت ذاته هو الفضاء الذي فتح الآفاق للكثيرين (منصب عمل، زواج، هجرة...الخ)، غير أن الملاحظ على الكثير من الشباب المستخدمين لمختلف الوسائط التكنولوجية الاجتماعية (ذكورا وإناثا)، أنهم أنتجوا هويات افتراضية، بأسماء مستعارة ليعبروا عن أنفسهم بحرية ديموقراطية الكترونية بلا قيود، ولا التزامات... وبالرغم من الاستخدامات الجيدة للشبكة العنكبوتية، إلا أن الواقع يثبت بأن الجريمة الإلكترونية أصبحت جريمة مستحدثة في المجتمع الجزائري، للقيام بممارسات و أعمال غير مشروعة بداية من سرقة المعلومات والبيانات، أو سرقة وتزوير البطاقات المالية، واقتحام الحواسيب الخاصة، والمتاجرة بالجنس عبر الأنترنيت، و استخدام التكنولوجيا في دعم الارهاب والتطرف الفكري والديني والإبتزاز بكل أنواعه المادي والمعنوي... الخ من الممارسات التي أصبحت تصنف في خانة الجرم الإلكتروني.

يتميز المجرم الإلكتروني بجملة من الخصائص والميزات تميزه عن غيره من المجرمين العادين فهو مجرم محترف، متخصص، غير عنيف، ذكي ويتمتع بالتكيف الاجتماعي، يتميز أيضا بالمهارة والمعرفة. هذه السمات والخصائص تمنحه السلطة لممارسة فعله الاجرامي باحترافية عالية. إن الفراغ الذي يعانيه الشباب الجزائري البطال دفع به إلى البحث عن مجالات لتقدير ذاته وتفريغ شحناته الغضبية وسخطه وتذمره عن أوضاعه، وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي الهدف المفضل للعديد من شباب الإجرام الإلكتروني.

يرى الباحث الاجتماعي علي وطفة أن التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم تجعل الانسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة. وهي التغيرات التي تضع الشباب في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة تتعلق بغزو الفضاء والأقمار الصناعية وثورة الحاسبات، وذلك كله يعرض الشخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى انهيار الشخصية وإلى انفصام اجتماعي.[10]

إن انتشار الجريمة الالكترونية في العالم وتوسع إطارها أمر منطقي بحكم التطورات والقفزات الالكترونية الهائلة التي تشهدها الكثير من البلدان، ورغم وجود قوانين تجرم وتدين الجرائم المعلوماتية والالكترونية إلا أن الأمر يتطلب كثيرا من الجهد من قبل القائمين على أمر هذه التكنولوجيات والبرمجيات عناية وإحاطة وتوعية بأن انتشار الجريمة الالكترونية قد يؤدي إلى خلل عام يهدد المجتمع كله في اقتصاده وسيادته وأمنه، وهذا ما يتطلب حماية المواقع المهمة والاستراتيجية من خلال استخدام التقنيات المتطورة ووسائل الكشف المبكر عن عمليات الاختراق. كما يتطلب الأمر الاهتمام بمسببات هذا الفعل من بطالة وفقر وتهميش.

خلاصة :

[10] ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، ص 52

المجلد العاشر/ العدد الأول /اوت 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تعتبر البطالة من أهم التحديات التي تواجه المجتمع الجزائري كونها مشكلة اقتصادية، ذات تأثيرات قوية على مختلف الجوانب الأخرى الاجتماعية، السياسية، والثقافية. وتبقى بطالة الشباب ذات خطورة بمكان كونها تنعكس على سلوكياتهم بصورة سلبية وتحدث عندهم سلوكات اجتماعية انحرافية متعددة كتعاطي المخدرات، العنف، الجريمة بكل أشكالها، تنامي ظاهرة الهجرة السرية... الخ، كما أنها تجعلهم يعيشون كبت كبير ليتحول مع الوقت إلى شعور بالاحباط واليأس. إنها تقود إلى الشباب المدمر نفسيا، الفاقد تقديره بذاته، شباب التهميش والاقصاء الاجتماعي.

المراجع:

1- ابراهيم أبو الحسن، العمل مع الشباب، المكتب الجامعي الحديث، مصر 2015
2- سعود حجال، الحركات الاحتجاجية في جزائر اليوم الفعل الاحتجاجي لدى الشباب البطال – تحليل لأحداث الجنوب – ورقلة 2013، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة تيزي وزو، عدد1 ، جوان 2016
3- سليمان مظهر، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية مصدر المجابهة، ثالة للنشر، الجزائر، 2010
4- عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الشباب المغربي جدل الادماج والتهميش، طوب بريس، المغرب، ط1 ، 2004
5- عبد الرزاق محمد صالح ورشيد عباس الجزراوي، ظاهرة العولمة وتأثيرها على البطالة في الوطن العربي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1 ، 2015
6- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2، 2011
7- محمد رمضان، الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، دار الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر دون سنة
8- ناصر جابي، الجزائر:سنوات بوتفليقة، مقالات في السياسة والاجتماع، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013
9- يحي مرسي عيد بدر، الشباب في مجتمع متغير، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2007
10- ONS.(2017). L'Algérie en quelques chiffres, résultats de (2015,2017)